

الأدب مع النبي

الشيخ د. يونس صالح

19 صفر 1431 هـ
05 فبراير 2010 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} سورة آل عمران: 102.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ ذَقِيبًا} سورة النساء: 1

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} سورة الأحزاب: 70 ، 71.

أما بعد..

حديثنا اليوم بإذنه تعالى عن الأدب مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ولكن قبل أن نتعرف على كيفية الأدب مع المصطفى، وأقول: هل تعرف المصطفى؟ وسينتظر جوابي على هذا السؤال في العناصر التالية:

أولاً: تعظيم الرب العلى لقدرة الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: مظاهر الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن شأن المصطفى صلى الله عليه وسلم عند الله لعظيم، وإن قدر الحبيب عند ربه لكريم، فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسل، واصطفى من الرسل أولى العزيم الخمسة، نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً- صلوات الله عليهم جميعاً- واصطفى من أولى العزيم الخمسة الخليلين الحبيين إبراهيم ومحمداً واصطفى محمداً على جميع خلقه، فشرح له صدره ورفع له ذكره وأعلى له قدره ووضع عنه وزره، وذكره ربه في كل شيء.

ذكره في عقله فقال سبحانه: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2)} سورة النجم وذكره في صدقه فقال سبحانه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)} سورة النجم، وذكره في فؤاده فقال سبحانه: {مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11)} سورة النجم، وذكره في بصره فقال سبحانه: {مَا رَأَى الْبَصَرُ وَمَا طَعَى (17)} سورة النجم، وذكره في صدره فقال سبحانه: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1)} سورة الشرح، وذكره في ذكره فقال سبحانه: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)} سورة الشرح، وذكره في طهره فقال سبحانه: {وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (2)} سورة الشرح، وذكره في حلمه فقال سبحانه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (128)} سورة التوبة، وذكره كله فقال سبحانه: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ (4)} سورة القلم بأبي هو وأمي.

أغر عليه للنبوّة خاتر	من نور يلوح ويشهد
وضمّ الإله إسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن
وشق له من اسمه ليجله	أشهد
	فأذو العرض محمود وهذا
	محمد

ويتجلى تكريم الرب العلى لحبيبنا النبي صلى الله عليه وسلم في قسم الله جل وعلا بعمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وبحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس

رضى الله عنهما: والله ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد، وما سمعت الله أفسر بحياة أحد غير محمد فقال جل وعلا: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)} سورة الحجر أفسر الله بحياة حبيبه المصطفى فيقول ربه له: وحياتك يا محمد.

معنى الآية وحياتك يا محمد إن أهل الشرك إن أهل الكفر فلا ضلالم يترددون ويتخطفون ويتحبرون: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} .

بل لم يقسم الله جل وعلا لنبي من أنبيائه بصفة الرسالة إلا لحبيينا المصطفى فقال جل وعلا: {يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3)} سورة يس يقسم الله لنبينا فقط بأنه رسول من عنده فيقول: {يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ، سورة يس .

بل وأفسر الله بالضحي: {وَالضَّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} سورة الضحى أنه ما أهمل محمداً وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباها وأن ما أعداه له في الآخرة خير له من كل ما أعطاه في دنياه. وقد جمع الله له الكرامة والسعادة في الدارين مع الزيادة فقال جل في علاه: {وَالضَّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَانِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَّا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَّا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} {سورة الضحى.

تدبر معي أيها المحب للحبيب محمد لتقف على قدر حبيبك عند ربه جل وعلا فوالله لقد خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة إلا المصطفى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} (35) سورة البقرة. {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا} (48) سورة هود: {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَدَّلَكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} {104 ، 105 سورة الصافات ، {يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} {11 ، 12 سورة طه ، {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَدَّلَكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} {104 ، 105 سورة الصافات ، {وَرَفَعْنَا إِلَيْكَ حَبْلَ الْإِسْلَامِ} (55) سورة آل عمران . {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} (26) سورة

ص ، { يَا ذَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا } (7) سورة مريم ،
 { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } (12) سورة مريم ، { قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ
 رَبِّكَ } (81)

سورة هود.

أما المصطفى فنأدى عليه ربه بقوله: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (1) } سورة الأحزاب، { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (45) }، { 46 سورة
 الأحزاب ، وداعياً إلى الله وداعياً إلى الله } : بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) { سورة الأحزاب. وقال
 سبحانه: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ (41) } سورة المائدة. وقال
 سبحانه: { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (1) }، { 2 سورة المزمل ، وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا
 الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبُرُ * وَثَابَكَ فَطَهَّرْ * وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ *
 وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (1) }، { 7 سورة المدثر، يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، وما
 ذكر الله اسم النبي إلا مقروناً بالرسالة فقال سبحانه: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ
 قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ
 شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) } سورة آل عمران.

وتدبر معى هذه الكرامة فإن الله جل وعلا قد خاطب حبيبة فأخبره بالعفو عنه قبل
 الفعل الذى فعله قال سبحانه: { عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
 وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43) } سورة التوبة. عفا الله عنك فقدم الله العفو عن حبيبه ثم أخبره
 بفعلته بعد ذلك: { عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ
 الْكَاذِبِينَ (43) } سورة التوبة، وخصه تبارك وتعالى بالشفاعة العظمى فى الآخرة وهى المقام
 المحمود الذى ذكره الله فى قوله: { وَمَنْ اللَّيْلُ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
 مَّحْمُودًا (79) } سورة الإسراء.

وخصه الله جل وعلا بالوسيلة، والوسيلة هى أعلى منزلة فى الجنة كما فى صحيح مسلم من
 حديث عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "إذا سمعتم المؤذن يؤذن

فقلوا مثلما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا. ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي. (1[1]) "

وخصه الله بالكوثر هل تعلمون ما الكوثر؟ حوض أو نهر في الجنة ماء أشد بياضاً من الثلج، وأحلى مذاقا من اللبن بالحسل، وطينه- أو طيبه، كالمسك الأذفر وعدد آنيته بعدد نجوم السماء من شرب منه شربة بيد الحبيب المصطفى، لا يبقى بعد هذه الشربة أبداً حتى يسعد بالنظر إلى وجه الله في الجنة الكوثر؛ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3) سورة الكوثر.

ففي الصحيحين من حديث أنس واللفظ للبخاري أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال " :بينما أنا أسير في الجنة" دخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة- نعر رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجنة في الدنيا وهو يصلي صلاة الاستسقاء، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة المعراج والإسراء يقول الحبيب " :بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه=شاطئاه- قباب الدر المحجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال جبريل: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك عز وجل" يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: فإذا طيبه- أو طينه- مسك أذفر" شك هدية.

وفي رواية مسلم من حديث أنس قال المصطفى صلى الله عليه وسلم " حوضي أشد بياضاً من الثلج وأحلى من اللبن بالحسل عدد آنيته أكثر من نجوم السماء وإنى لأرصد الناس عنه يوم القيامة-أى: من غير المؤمنين، أى من غير الموحدين-كما يرد الرجل إليه عن حوضه" كما يرد الرجل إبل الناس عن حوضه فقالوا: وهل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ هل تعرف أمك من بين سبعين أمة في أرض المحشر هل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ فقال المصطفى " : نعر إن لكم يومئذ سيما" أى: علامة تختلفون بها عن كل الأمر " تأتوني أو تردون على غراً محجلين من أثر الوضوء."

ثم أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بعث فيهم محمد أن يؤمنوا به وأن ينصروه قال جل وعلا: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) {سورة آل عمران.

هذه مكانة النبي الأمين عند رب العالمين، ويبين لنا الحبيب المصطفى امتثالاً منه لأمر ربه أن يبلغ، يبين لنا مكانته عند ربه فيقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفع."

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قال: صلى الله عليه وسلم " فضلت على الأنبياء بست - أي بست خصال - فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الخنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة وختر بي النبيون " وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما أتى للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بالبراق استصعب البراق على النبي صلى الله عليه وسلم - أي: انتفض البراق، ولم يتمكن النبي صلى الله عليه وسلم أول الأمر من ركوبه فقال جبريل للبراق: بمحمد تفعل هذا- فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد فارفض البراق عرفاً.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " :أتى باب الجنة- فإن أول من يفتح باب الجنة يوم القيامة هو نسينا، إن الله حرم الجنة على أي مخلوق أن يدخلها قبل المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد قبل الحبيب محمد - أتى باب الجنة فاستفتح فيقول لي خازن الجنان: من أنت، فأقول: محمد، فيقول الخازن: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك " والله لو ظلمت أتحدث عن فضل النبي صلى الله عليه وسلم عند الرب العلي لا حتجت إلى لقاءات متعددة وأجمل القول في كلمات قليلة حتى لا تنسى فأقول .

ثانيا: مظاهر الأذب مع الرسول صلى الله عليه وسلم:

- (1) التسليم لأمره صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما يأمر وينهى: الصحابة والتطبيق العملي لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة بالمسجد فقيل لها: ما تخرجين وتعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تمنعوا أماء الله مساجد الله" أخرجه البخاري ومسلم.
- (2) عدم دفع الأصوات فوق صوته: قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأتثر لا تشعرون } سورة الحجرات.
- (3) توقير صلى الله عليه وسلم وتعظيمه واجلال شخصه: أمثلة التوقير والتقدير عند الصحابة الكرام: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في حديث إسلامه وفيه: " وما كان أحد أحب ألي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه . وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه أجلاً له . ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملاً عيني منه . "
- (4) موالاة من يوالي الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاداة من يعادي ، والرضا بما يرضى به: لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" زواة الطبراني من حديث ابن عباس وصحح الالباني سنداه في الجامع.

من سوء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر اسمه مجردا من دون وصفه بالنبوة قال تعالى: "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا" سورة النور الآية 6 .

(5) الترضى على أصحابه وأهل بيته صلى الله عليه وسلم والتأسي بهم لان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم هم الذين أدروا لنا القرآن وثبتت بهم حجة الله على الخلق قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله: ومحبة الصحابة رضي الله عنهم واجلالهم تابع لمحبة الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

(6) حبه ما يحب عليه الصلاة والسلام: مثال لمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم "أسامة أحب الناس إلي". رواه الحاكم في مستدركه.

(7) نصرته والدفاع عنه: قال تعالى: {ألا تنصروا فقد نصره الله} سورة التوبة وتكون نصرته الرسول الله بالدفاع عنه وعن سنته بالمال والنفس واللسان والقلم والرد على كل منافق .

(8) الإهداء بهديه صلى الله عليه وسلم: أفضل الطرق وأكملها هي الهدى وهو الطريقه التي كان يسير بها الرسول صلى الله عليه وسلم في سلوكه وعبادته وأن الله تعالى جعل لنا أسوة حسنة وهو رسولنا الكريم لقوله تعالى: { لقد كان لكرم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا}. سورة الأحزاب الآية 21 .

(9) ومن مظاهر الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم حفظ حرمة بلدة المدينة المنورة فانها مهاجرة ومحل اقامته وبلد أنصاره وفيها مسجده خير المساجد بعد جد الله وفيها مدفنه صلى الله عليه وسلم ومدفن أصحابه: قال الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين لا يقبل

الله منه صرف ولا عدل) رواه الطبراني بسند حسن) من الأذب مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا زاد أحدكم سجدة يصلي فيه ومن الأذب أيضا عدم تخير اسم المدينة بخير اسمها التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم.